



هناك حقائق و المسلمين نحتاج إليها حاجتنا إلى الماء عند الانكباب على تحليل ظاهرة ما أو حدث ما أو واقع معاش ما في شقيه التاريخي والاجتماعي، ولا شك أن حجم هذه الحاجة تحدده عوامل كثيرة ومتعددة، لكن يبقى استشراف حجم التأثير والإخلال عند فقدانها أو تعمد غيابها أحد أهم العوامل التي تحكم في حجم هذه الحاجة وكذا صدق المساس إليها.

ولا شك أن الغرب ولا غباء حتى نستثنى منه أمة ما، وهو يتعامل معنا يدرس يخطط يحلل يملي يفرض يستشرف يتتجسس يناور يهجم يستعمر يعتدي ويدمر، لم يكن ليغيب عنه هذا النوع من المساس وال الحاجة الملحة إلى جمع المعطيات وخاصة ما يتعلق منها بالدين والتدين والتاريخ والحضارة والعقائد والملل والبدع المحدثات بل والسنن، ويصدق ما ذهبنا إليه وينقله من تهمة الرجم بالغيب إلى منزلة التحري والبيان ما راكمته المراكز الدراسية الغربية من بناء معرفي وتوصيات تبين عند التسريب أنها كانت تملئ علينا أبناء الليل وأطراف النهار، كما دل وضع اليد على مكامن تفاصيلها على حقيقة أن هذا الآخر يحيط بنا علماً ويتربص بنا ظلماً.

ولا شك أن هذا الغرب بات يملك من هذه المعطيات والأسرار النصاب الأولى الذي يؤهله إلى أن يكون فاعلاً في استنزاف قوتنا، وضرب عروة وحدتنا وتحويل مشاكلة الدين واللغة والأرض في دائرة المشترك إلى وحدات متنافرة يضرب بعضها رقاب بعض، وحرى بنا عند التكلم بلسان اللون الدالة على الجماعة أن نوجه الكلام بالإفصاح عن نوع هذه الجماعة في إطار مفهوم أمة الإجابة وعند نقطة الملتقى وعروة التواد والتراحم والجسد الواحد جسد أهل السنة والجماعة في اصطلاحه السياسي لا الشرعي مراعاة لسياق الكلام المقيد.

ولعله تصويب يسعفنا في مقام التأصيل لمراحل التأثير والتأثير من تاريخ هذه الأمة، وصناعة ملامح أيامها النحسات من تاريخها عند درك توليه عن الزحف، وتزملها بذمار الضعف والوهن والمسكنة، أو تقمصها لشخصية ما يعرف في أدبيات نعت الآخر بالرجل المريض، ويسعفنا بالاعطف في تجلية أسباب هذا الضعف وبواعث هواننا على الناس، والتي لن تكون في الأخير إلا مضموناً لتلك الحقائق وال المسلمين، التي أتينا على ذكرها في سياق الكلام عن الحاجة إليها في ما سلف أن وطئنا به بين يدي هذا التحليل إن سلم الاصطلاح، لنربط به الاتصال عوداً على بدء مقررين أن الغرب وهو يمتلك ذلك النصاب المعرفي وقف على حقيقة أن الدولة السنوية لا تكون ولن تكون لها السطوة والتمكين..

والحال أن الدولة الشيعية تمثل قوة الردع والتجاسر، والحال أن الانتساب لأهل السنة والجماعة صار اليوم وحتى الأمس القريب من جنس العصبيات التي تتحمس لها رواية وفكرةً ودرأة، بينما تكون في الواقع آخر شيء نعمل به وننحني له ولو

ولعل من حسنات التسليم بهذا الطرح فهم السياق الذي تم في أقبية صناعته اختيار محاصرة العراق وتوجيهه استعداداً لاستئصال شأفة دولته وحضارته وقوته، التي تمثل في دلالة رمزية صادقة القوة السنوية المتقدمة للمشهد السنوي برمته، والتي كان من شأنها كما وقفت من ذي قبل ك حاجز سني عتيد أمام طموح المد الشيعي القاتل المتربيص، وربما احتجنا الاستعجال بالتنبيه على ذلك الغباء الذي يستحرمنا رواده باستدرارك مفاده أن العراق واجه إيران الشيعية في حرب طويلة النفس مدعوماً بالغرب والعرب.

ووجه هذا الاستغباء هو تصدير القراءة السطحية إلى الواجهة والتي تجعله أي الغرب مصطفاً على الحقيقة، إلى جانب الفصيل السنوي في حربه التاريخية مع العدو الشيعي، بينما الواقع أن أمريكا ومن وراءها لم تكن لترى إمكانية أو حتى احتمالاً من شأنه أن يثبت دسر الثورة في أواخر سفينة الإبحار الشيعي في المنطقة، وقبله القضاء على الصوت المعارض الداخلي في إيران والذي كان أصحابه قاب قوسين أو أدنى من إسقاط الثورة، وإفشال ما وراء أكمة توطينها، سوى الاستصرار بقمع طبول الحرب مع العدو التاريخي والحضاري المجاور.

ونعني به عراق صدام السنوي ليسهل في مناخ هذه الحرب رفع تهمة الخيانة العظمى في وجه المعارضين، ومن ثم إسكات صوتها المشاغب إلى الأبد تحت وطئة المقصلة الرسمية، التي نصبت لتعمل عملها في الرقاب على مرأى ومسمع وصمت الغرب المتواطئ، رغم العدد المرتفع المنسوب من ضحايا هذه المقصلة.

إضافة إلى ما تنسى لهذا الغرب من حسنات الوقوف على حجم ومدى تطور الآلة الحربية السنوية في المنطقة النابضة بالإسلام أولاً، والبترون ثانياً، وكلاهما على مرمى مشتهي الآخر، وليتم له وهو يتفرج بحياد مدخول وبعد وقوفه على حجم الاستنزاف وخور النفس الحربي لمؤسسة الجيش العراقي الباسل الشروع في تحويل العراق عبر مرحلتين إلى أكلة نصف كاملة كفطور للأب بوش، وكوجبة غداء كاملة للسيد بوش الابن، على أن يسلم في مرحلة لاحقة كفحة إيران تعثث به كييفما تشاء.

وليس من الأنوية في شيء أن نصف هذا الطرح بالتحليل الصحيح السليم من جهة ما احتف حوله من قرائن تشهد له بهذه الصحة، وعلى رأسها ما آلت إليه الأمور من واقع أسود مرباد وصدقته الواقع المتراوحة بالصوت والصورة والرائحة في مقابل الزييف الذي راكمه الإتراف الفكري وعدم النضج المعرفي باسم تجنب الطائفية ورفع شارات الأخوة الدينية بين الشيعة والسنوة من جهة ومن جهة أخرى التماهي حد الخذلان مع أكذوبة العداء الإيراني الغربي المتبادل، وهي على أي أراء وأفكار أثبت الواقع أنها ارتجال ليست له أرضية علمية أو منطقية كما ليس من شأنه الصمود ليس أمام التحليل العلمي الدقيق فحسب وإنما أمام ما استشرفه المنصفون وصدقه الواقع بعد حين.

ولا شك أن من هذا الواقع أن يقف المنصف على ما مارسه الكر الشيعي، وإبحار حشوده الطائفية في المنطقة مباشرة بعد تجلية أمريكا للحاجز السنوي العراقي الذي رمزت إليه وإليه الإيذان به عملية إسقاط صنم حاكم العراق صدام رحمة الله والتلفاف الشيعية المأجورين على ضرب حجارته بالأحذية والنعال، في إشارة ضئيلة خضراء لهذا المرور القاتل والعبور المأذون له.

ولك أن تتصور بعد هذه الإشارة كيف تحولت بين عشية وضحاها قبائل متوجهة كانت تعيش معيشة (الماعز) في أعلى الجبال، وأوغر المسالك وأوحشها، إلى قوة متعاظمة تملك المال والسلاح والتمكين والحظوة في أوطان يعيش غالبية سكانها

تحت خط الفقر المدقع، فقد صار في مقدور قبيلة الحوثيين الرافضلية مثلاً في اليمن السطوة على الحكم في واسحة النهار، بل وأن تمتلك من الجرأة الحربية ما يؤهلها بامتياز كي تقف بندية في وجه تحالف عربي يمتلك المال والسلاح والجيوش النظمانية ذات العدد والعدة.

وتجدر بالذكر التنبية على محتوى تلك اليافطة التي دأب الحوثيون بل الفصيل الشيعي في المنطقة وهو مسافر سفره القصير الذي لا يجيز جمعاً ولا يترخص قصراً، لينبج السنة ويقطع دابرهم وينسف مساجدهم، وينكل بحرائرهم وولداتهم، المكتوب على ظهر خرقتها "الموت لأمريكا الموت لليهود الموت لإسرائيل"، وأنها يافطة سقطت عنها ورقة التوت وتبين أنها حمل خفيت تستشرف كما تستشرف حامله أمريكا وإسرائيل..

استشرافاً جعلنا نعدم في المهد احتمال ولو بالغلط وقوع صاروخ موجه من طائرة أمريكية بدون طيار على رأس حوثي أو شيعي يعيث في الأرض فساداً، بينما كانت ولا تزال ترافق علينا بالصوت والصورة رواح الموت المحيط والمتربص بحياة اليمني السنوي والعرقي السنوي والصوري السنوي والأفغاني السنوي، وحبل المعطوفات طوبل الذيل مما علمناه وكان قليلاً وغاب عنا ذكره وكان كثيراً.

ولن يفوت جنس السياق ومقتضاه التعرير على ذكر ما وصل إليه ذراع إيران في المنطقة حزب الله من قوة حربية وتمكين سياسي، استطاع بهما بلع الكيان اللبناني وإحكام السيطرة على كافة أجهزته ومرافقه السلطوية، حيث لم يبق للسنة هناك إلا تمثيل شكلي مخنث لا يملك من الأمر شيئاً، بل استطاع بكل جرأة عبور حدود سايكوس بيكون - المقدسة عند الغرب نفسه - ليذيق السوريين سوء العذاب، فينبج الأبناء ويستحيي النساء ويعدم الرجال، ويرفع بيارق طائفته على رأس مآذن مساجد أهل السنة هناك إن هي سلمت ابتداء من قصه ونسفه.

وكالعادة لا نملك إلا أن نستدرك على ذلك الصوب الذي أغاثه حرب هذا الأخير مع الكيان الصهيوني في صيف 2006م بكونها حرب استفاد منها حزب الله كما الكيان الإرهابي من خلال ما وقع من هدم لمؤسسات وبنيات الكيان السنوي في لبنان، ومن خلال ما أصبتته هذه الحرب المدخلة على حزب الله من سمعة وتمكين حدد مساره الاستقطابي في المنطقة، حتى كان من شأن هذا الاستشهاد والتمكين أن سمعنا للشيعة ركزاً في مغربنا الأقصى لا يزال يعمل في صمت وقوعة، وهو ركيز ما كان ليكون وما كان لنশم ريحه السموم لو لم يتواتط الغرب ومعه إيران على إسقاط قوتنا السنوية وحضارتنا العظيمة التي تختزلها دار الحكمة ببغداد العزة والكرامة والإباء.

وربما كان من الغباء أيضاً اعتقاد أن أمريكا والغرب كله تغيب عنه ملامح العدو الحقيقي المهدد لوجوده، أو يغيب عنه التحبيين المستشرف لدولة هذا العدو وعوده بساط التمكين إلى تحت أقدامه وهو أمر يفسره اصطدامه الدائم للجانب الشيعي على حساب الجانب السنوي، باعتبار ما تؤثره هذه المعرفة نفسها وتقضيه.

ولربما غاب عنا عبر ما نشهده من استهجان واحتراق أسباب هذا التحبيين وملابساته، وأمارات قرب وقوعه أو حتى التصديق باحتمال صحة روايته، ولم يكن بالجزم ليفيغ عن ذهن هذا الذي يتربص بنا من كل حدب وصوب، ويروم الحيلولة بيننا وبين ما يراه واقع لا محالة ولو بعد حين، بينما في صفنا من هو منبني جلدتنا ويتكلم بلساننا ويرى في هذا الواقع واحتمال قومته وخلافته التي هي على منهج النبوة مجرد ضرب من ضروب الخيال، وهرولة في مسعي العزاء ونوبة الواقع المر؛ واقع الوهن والهوان على الناس بالاستمساك بأساطير الأولين وتخريف المتأخرین ليس إلا.

طريق الإسلام

المصادر: